Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences Volume (4), Issue (1) July(2024)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://www.iasj.net/iasj/journal/419/issues
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها كلية الفارابي الجامعة

دراسة وصفية تحليلية عن مخطوط شفاء الآلام في طب أهل الإسلام لأبي المظفر يوسف بن محمد بن مسعود السُّرَّمَرِّي (ت٧٧٦هـ)

م. م. محمد عدنان عبد الرحمن
كلية التربية للبنات الجامعة العراقية

خلاصة البحث

يتناول البحث؛ دراسة مخطوط: (شفاء الآلام في طب أهل الإسلام لأبي المظفر يوسف بن محمد بن مسعود السُّرَّمَرِّي ت٧٧٦هـ)، دراسة تحليلة وصفية.الهدف من الدراسة؛ بيان أهمية المخطوط، حيث تناول علم الطب، وهو من العلوم المهمة لحاجة الناس إليه في كل عصر ومصر، استطاع مؤلفه أن يدرس هذا العلم لأكثر من أربعين سنة، ومارسه، ووضع حلولاً وعلاجات لكثير من الأمراض التي يعاني منها الإنسان، حيث جمع مؤلفه بين العلم والخبرة الواسعة حتى استطاع أن يدون ما جمع في هذا الكتاب وبحمد الله فقد وقفتُ الى المخطوط واطلعتُ عليه وأحببتُ أن اعرف الباحثين والدارسين والمؤسسات العلمية بأهميته، من أجل الاهتمام به ولفت النظر إليه ومن ثَمَّ دراسته وتحقيقه، وأنه يحتاج إلى جهدا كبيرا، وعملا متميزا، وموصفات خاصة فيمن يقدم على تحقيقه ودراسته، لأنه جمع بين علم الطب والصيدلة وعلم الشريعة.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.فإنَّ اللهَ خَلَقَ الخَلْقَ للاختبارِ والامتحانِ، ولا يسلمُ منه أحدٌ من خلقهِ، ولهُ أنواع كثيرة ومتنوعة، ومنها؛ الابتلاء بالمرض والسقم وهو أشدها على الإنسان، فَمَنْ الذي لا يمرض ولا يسقم، أذل الله به الجبارين والمتكبرين، فلا يسلم منه أحد من خلقه، لذا ترى الناس يهرعون إلى طلب الاستطباب، طمعاً في الشِّفاء، وأملا في تخفيف الألم، ويبذلون في ذلك الغالي والنفيس، وحيث ما كان الإنسان كان معه الطبيب، فهو عِلْمٌ لا يستغني عنه أحد من البشر، الكُلُّ بحاجة إليه وإلى تعلمه، لهذا كان لعلم الطب مكانة ومنزلة بين العلوم، وقد بَيَّنَ ذلك الإمام الشَّافعي بعبارة موجزة حيث قال: (إِنَّمَا العِلمُ عِلمَانِ: عِلمُ الدِّينِ، وَعِلمُ الدُّنْيَا، فَالعِلمُ الَّذِي لِلدِّينِ هُوَ: الفِقْهُ، وَالعِلمُ الَّذِي لِلدُّنْيَا هُوَ: الطِّبُّ)[١]، وفي رواية له قال: (لا تَسْكُنَنَّ بَلَدًا لا يَكُونُ فِيهِ عَالِمٌ يُفْتِيكَ عَنْ دِينِكَ، وَلا طَبِيبٌ يُنْبِئُكَ عَنْ أَمرِ بَدَنِكَ)[٢]، وقال السُّرَّمَرِّي: (لَمَّا ابتلَى عبادهُ بالأدواءِ أعانهم عليها بما يسرَ لهم من الأدوية، ولَمَّا ابتلاهم بالذنوب أعانهم عليها بالتوبة والحسنات الماحية والمصائب المكفرة.فما ابتلاهم بشيءٍ إلا أعطاهم ما يستعينون به عليهِ ويدفعون به، لكن يبقى التفاوت بينهم في العلم بذلك)[٣]من أجل هذا كان لزاما على الأمة الإسلامية أنْ تهتم بعلم الطب وتبرز فيه، وعلى مدار التاريخ الإسلامي ظهر علماء أفذاذ كرسوا أوقاتهم وعقولهم للتبحر في هذا الفن ونبغوا فيه، وخلفوا تراثا وإرثا حضاريا عظيما تنتفع به الأمة على مر العصور والدهور وبه أثروا المكتبة الإسلامية بمؤلفات عظيمة، استفاد منها الأعداء قبل الأصدقاء، ومن هذه المؤلفات كتاب: (شفاء الآلام في طب أهل الإسلام ليوسف بن محمد السُّرَّمَرِّي ت٧٧٦هـ)، وهو من المخطوطات المهمة والنادرة التي تزخر بها المكتبة الإسلامية، وقد مارس مؤلفه الطب وعمل واشتغل به لأكثر من أربعين واكتسب خبرة واسعة في هذا الفن قال عن نفسه: (لما باشرتُ الأمراض والاستعمالات ومجالسة أهل الصناعة الطبية وقد تقدم حديث عائشة في استحقاق من أكثر مباشرة هذه الصنعة باسم الطب، فكيف بمن باشره نيفاً على أربعين سنة، وبالحري أنْ يكونَ من أهلهِ، وأنْ يُعد من خيله ورجله)[٤]عاشَ السُّرَّمَرِّيُّ في القرن الثامن الهجري، وأهم مميزات هذا القرن ظهور كثير من العلماء والمحدثين والمؤرخين في مختلف العلوم والفنون كابن كثير (ت٧٧٤هـ)، والذهبي (ت٧٤٨هـ)، وتقي الدين السبكي (ت٧٥٦هـ)، وابن هشام النحوي (ت٧٦١هـ) وغيرهم، وكان هذا القرن بحق من خير قرون الأمة الإسلامية لكثرة ما ظهر فيه من العلماء الأفذاذ، ومن أهم مميزات هذا القرن كثرة التأليف والتصنيف.

أسباب اختيار البحث:

١/ عملتُ هذه الدراسة من أجل التعريف بالمخطوط واستنهاض همم الجامعات والمؤسسات العلمية الاعتناء بمثل هذه الموسوعات العلمية وتحقيقها وطباعتها لتكون في متناول يد العلماء والباحثين، وليكون مرجعاً مهماً للدارسين، خاصة إذا علمنا أن هناك تشابها في الأمراض والأوبئة التي كانت منتشرة في ذلك الوقت بما عليه في الوقت الحاضر.

٢/ المخطوط لم يُطبع ولم يحقق.

٣/ أبواب المخطوط وفصوله الكثيرة والمتنوعة جاءت شاملة لجميع الأمراض والأسقام مع ذكر العلاجات الناجعة والمجربة، وهذا ما يجعل في المخطوط مادة دسمة للأطباء والمتخصصين في مجال الدراسات الطبية والصيدلية الحديثة، وطرق تشخيص المرض والعلاج.

٤/ تجاوزت عدد صفحات المخطوط في بعض النسخ على ستمائة (٦٠٠) صفحة، وهذا العدد يعتبر كبيرا جدا في موضوع المخطوط وفنه.

٥/ ربط الأجيال الإسلامية الحاضرة بتاريخها المشرف، وحضارتها الزاهرة، وتراثها العظيم، وتعريف العالم بأنَّ للأمة الإسلامية تراثا علميا ضخماً، وإرثا حضاريا عظيما، قادراً على أن يسهم في تطور البشرية وتقدمهاهذا وصلى الله وسلم على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه أجمعين.

خطة البحث:

خلاصة البحث المقدمة أسباب اختيار البحث خطة البحث القسم الأول: ترجمة البحث أولاً: اسمه ونشأته ثانياً: أشهر شيوخه ثالثاً: أشهر تلاميذه رابعاً: مؤلفاته خامساً: ثناء العلماء عليه سادساً: وفاته القسم الثاني: دراسة المخطوط أولاً: مقدمة الدراسة ثانياً: دوافعه الرئيسية في تأليف المخطوط ثالثاً: منهجه في تأليف الكتاب مع ذكر بعض كتبه وأبوابه وفصوله رابعاً: شروعه في تصنيف الكتاب خامساً: منهجه في تقسيم الكتاب سادساً: منهجه في ذكر الدليل على مسائله سابعاً: الجمع والتوفيق بين علم الطب الطبيعي والطب الإلهي والنبوي ثامناً: أهم موارد المؤلف ومصادره تاسعاً: بيان نسخ المخطوط في العالم خاتمة البحث قائمة المراجع

القسم الأول: ترجمة المؤلف[٥].

أولا: اسمه ونشأته.

هو: أبو المظفر يوسف بن محمد بن مسعود بن محمد بن علي بن إبراهيم العُبَادي الحنبلي، السُّرَّمَرِّي مولداً ومنشأً، البغدادي ثم الدمشقي، عُرف بجمال الدين نشأ الإمامُ جمال الدين السُّرَّمَرِّي حياته متنقلاً بين مدينة سامرّاء وبغداد ودمشق، فموطنه الأصلي الأول سامرّاء، وهي مدينة تقع بين بغداد وتكريت على شرقي دجلة وعلى بعد حوالي مئة كيلو متر شمال بغداد، وفيها حفظ القرآن وتفقه وتعلم، ثم انتقل إلى بغداد سنة ٧٢٩هـ، وعمره آنذاك في حدود الثلاثة والثلاثين سنة، وأخذ عن الأئمة والمسندين من شيوخ بغداد، وسمع الكتب الستة، ومسند الإمام أحمد، والسنن الكبير للبيهقي وغير ذلك مما يطول ذكره، ثم رحل إلى دمشق سنة ٧٤٦هـ، أسوةً بالعلماء الذين توافدوا عليها من مختلف بلدان العالم الإسلامي، فلقد كانت دمشق وريثة لبغداد في رعاية العلم والعلماء، خاصة بعدما حل ببغداد من تدمير على أيدي التتار وسقوط الخلافة العباسية قال ابن حجر في إنباء الغمر بأبناء العمروذكره الذهبي في المعجم المختص فقال؛ قدم علينا سنة ست وأربعين، وقرأ علي، وله معرفة بالمذهب ونظم جيد في علوم الحديث وغيرها انتهى[٦]برع في علوم كثيرة كالحديث والفقه والعربية والفرائض والطب، ونظم أراجيز في عدة فنون، وكان والده (محمد بن يوسف) من العلماء ذكره العُليمي وابن عماد والزركليُّ في ترجمة جمال الدين، وله كتاب سماه؛ (نظم التقريب في علوم الحديث) نحو ألف بيت، وزوجته (تركان بنت خليل الشريفي) وكانت تعد من العالمات، سمعت بإفادة زوجها كثيرًا من صالح بن الكسار البغدادي وغيره وحدثت، وأما أولاده فهم: محمد وكان فقيهاً، وإبراهيم وكان محدثاً، وفاطمة، وأسماءوكان رحمه الله قائماً بالمعروف والنهي عن المنكر، متحملاً في سبيل ذلك ما يلقاه من أذى، وفي آخر عمره سكن بالمدرسة الحنبلية وأقعد فيها، فصار الناس يقصدونه بها يقرؤن عليه حتى توفي رحمه الله.

ثانيا: أشهر شيوخه.

تتلمذ جمال الدين السُّرَّمَرِّي رحمه الله على طائفة كبيرة من علماء عصره الذين تأثر بهم، وكان لهم بالغ الأثر في بناء شخصيته؛ ومنهم:أحمد بن أبي طالب بن نعمه بن حسن بن علي الصالحي الحجار، مسند الدنيا قرأ عليه (صحيح البخاري) أكثر من سبعين مرة (ت٧٣٠هـ)، وأحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية النميري الحراني، شيخ الإسلام تقي الدين (ت٧٢٨هـ)، وأحمد بن محمد المعروف بابن الجوخي ويقال له أيضاً: ابن الزقاق الحافظ بدر الدين (ت٧٦٤هـ)، والحسين بن يوسف بن محمد بن أبي السري الدجيلي البغدادي، سراج الدين (ت٧٣٢هـ)، وخليل بن أيبك الصفدي، صلاح الدين (ت٧٦٤هـ)، وعبد المؤمن بن عبدالحق بن عبدالله بن علي بن مسعود البغدادي الحنبلي، صفي الدين (ت٧٣٩هـ)، ومحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي ثم الدمشقي الحنبلي، المشهور بابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، ومحمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبدالله التركماني الأصل ثم الدمشقي الحافظ شمس الدين الذهبي (ت٧٤٨هـ)، وغيرهم.

ثالثا: أشهر تلاميذه.

تصدى جمال الدين السُّرَمَرِّي للتدريس والدعوة، فتتلمذ على يديه نخبة من العلماء في مختلف الفنون؛ منهم ابنه؛ إبراهيم بن يوسف بن محمد السُّرَمَرِّي (ت٨٠٣هـ)، الإمام المقرئ محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري الدمشقي العمري الشيرازي الشافعي (ت٨٣٣هـ)، والإمام اللغوي الفيروزآبادي، ومؤرخ الإسلام أحمد بن حجي بن موسى الدمشقي الشافعي (ت٨١٦هـ)، وسعيد بن عبدالله الحريري الحنبلي المحدث الحافظ المؤرخ نجم الدين أبو الخير (ت٧٤٩هـ)، وعبد الرحمن بن عمر بن عبد الرحمن بن حسن المصري الحموي الأصل القبابي ثم المقدسي الحنبلي(ت٨٣٨هـ)، وغيرهم.

رابعا: مؤلفاته.تفنن جمال الدين السُّرَمَرِّي في التصنيف والتأليف فأكثر وبرع في علوم كثيرة، ونظم عدة أراجيز في عدة فنون نظماً ونثراً، وذلك لتبحره في مختلف العلوم والفنون، فقد كتب في بضعةٍ وعشرين علماً (ومنها في الطب)، وزادت مؤلفاته على المائة مصنف، وقد نقل ابن العماد الحنبلي عن السُّرَمَرِّي أنهُ قال: (مؤلفاتي تزيد على مائة مصنف كبار وصغار في بضعة وعشرين علماً، ذكرتها على حروف المعجم في: الروضة المورقة في الترجمة المونقة)[٧]؛ ومنها إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة، الأربعون الصحيحة فيما دون أجر المنيحة، الأرجوزة الجلية في الفرائض الحنبلية، ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية، الحمية الإسلامية في الانتصار لمذهب ابن تيمية، خصائص سيد العالمين وماله من المناقب العجائب على جميع الأنبياء عليهم السلام، شرح اللؤلؤة في النحو، شفاء القلوب في دواء الذنوب، عجائب الاتفاق وغرائب ما وقع في الآفاق، غيث السحابة في فضائل الصحابة، كتاب فيه ذكر الوباء والطاعون، المعسول في علوم حديث الرسول، المولد الكبير للبشير النذير صلى الله عليه وسلم، نشر القلب الميْت بفضل أهل البيت، نهج الرشاد في نظم الاعتقاد،،،، وغيرها كثير وبعناوين براقة جميلة، تجعل طالب العلم يسيل لعابه إلى التعرف عليها واقتنائها خاصة إذا علمنا أنه ممن يهتم بذكر الدليل، ولا ينقل عن أحد إلا ويذكر المرجع والمصدر الذي نقل منه، وهذا يعطي القاريء والناظر في مصنفاته ثقة واطمئنانا فيما يقرأ.

خامسا: ثناء العلماء عليه.

كانت له مكانة رفيعة عند كثير ممن ترجم له، إذ نبغ وصنّفَ في علوم شتى، فخلد الأئمة ذكرَه، وأثنوا عليه ثناء عاطراً منهم قال عنه الحافظ ابن ناصر الدين[٨]: الشّيخُ الإمام العلامة الحافظ البركة القدوة، ذو الفنون البديعة والمصنفات النافعة، جمال الدين، عمدة المحققين ... كان إماماً ثقةً عمدةً زاهداً عابداً محسناً جهده، صنف في أنواع كثيرة نثراً ونظماً، وخرج وأفاد...، وكان عمدةً في نقد رجال الحديث وضبطه وقال ابنُ حجر: برع فِي العَرَبيَّة والفرائض ونظم عدَّة أراجيز فِي عدَّة فنون وَخرج لغير وَاحِد، وَحدث بِالإِجَازَةِ عَن الحجار[٩].وقال تقي الدين ابن فهد: الإمام العلامة الحافظ... وكان عمدة، ثقة، ذا فنون، إمامًا، علامة، له مصنفات عدة في أنواع كثيرة نثرا ونظما، خرج وأفاد، وأملى رواية وعلما[١٠].

سادسا: وفاته.

توفي جمال الدين السُّرَمَرِّي وقد جاوز الثمانين بعد حياة حافلة بالتصنيف والتأليف والرواية والإفادة والإملاء في علوم شتى، وقد كانت وفاته في يوم السبت الحادي والعشرين من جمادى الأولى سنة ست وسبعين وسبعمائة (ت٧٧٦هـ)، وصلي عليه بالجامع الأموي، ودفن بمقبرة الصوفية بظاهر دمشق، جوار تربة الشّيخ تقي الدين ابن تيمية رحمهما الله رحمة واسعة.

القسم الثاني: دراسة المخطوط.

أولا: مقدمة الدراسة.اشتغل السُّرَمَرِّي بالطب ومارسه لأكثر من أربعين سنة، فقد جمع واستفاد ممن كان قبله ممن صنف وكتب في نفس الموضوع، وموارده في هذا كثير، فقد استفاد من الطب اليوناني، والأغريقي، والعربي، وما ورد من أحاديث كثيرة في الطب النبوي، وهي أحاديث صحيحة نطق بها الصادق الأمين النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا ينطق عن الهوى إنْ هو إلا وحي يوحى، وكذلك من خلال تجاربه الشخصية، وخبرته الواسعة، ومعالجاته الكثيرة ما شجعه على تصنيف الكتاب قال في مقدمته: (مررتُ بكثير من الأحاديث في الكتب الصحاح والمسانيد والسنن وغيرها ما يتعلق بالطب، مما أمر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أو وصفه، أو أستعمله، أو أمر به، أو أشار به، أو علمه أحداً، فرأيت أن أجمع ذلك إلى ما كان عندي من الطب البقراطي والجالينوسي، ثم وقع لي من المعالجة والمذاكرة حكايات لطيفة، ونكت ظريفة تتعلق بالطب وبحسن المذاكرة بها، فعزمتُ علَى جمع كتابٍ يشتملُ على هذه المهمات، ويحتوي على هذه الأمور النافعات، فاستخرتُ الله تعالى في تصنيفه وترصيفه، وجمعه وتأليفه)[١١].

ثانياً: دوافعه الرئيسية في تأليف الكتاب لما علم المؤلف أهمية علم الطب للإنسان وأنه من ضروريات الحياة وجد أن أغلب من يشتغل بهذا العلم من غير المسلمين، وأن الأمة الإسلامية قد أهملت هذا الجانب المهم، علماً أنهُ من ضروريات الحياة، هذا ما شجعه على دراسة هذا العلم والاهتمام به وممارسته له، قال في مقدمته: (لما رأيتُ مقاليد صناعة الطب قد استولى عليها الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركون واستبد بها منافقوا هذه الأمة

وهم غلبوا على طالبيها من أهل الإسلام، وصارت دُولة بين فجرة أهل الأديان ناديتُ بلسان الابتهال والإذعان؛ اللهم إليك المشتكى وبك المستعان وقد قال الإمام الشافعي رحمة الله عليه مع جلالته ومعرفته بعلوم الدين والدنيا: صنفان لا غنى بالناس عنهما؛ العلماء لأديانهم والأطباء لأبدانهم، وقال أيضا: لا أعلم علما بعد الحلال والحرام أفضل من الطب، وكان يتلهف ويحزن ويتحسر على ما ضيع المسلمون من الطب ويقول: ضيعوا ثلث العلم ووكلوه إلى اليهود والنصارى .....)[١٢]. إلى أن قال: (.... فعزمتُ على جمع كتاب يشتمل على هذه المهمات ويحتوي على هذه الأمور النافعات فاستخرتُ الله تعالى في تصنيفه وجمعه وتأليفه)[١٣].

ثالثاً: منهجه في تأليف الكتاب، وذكر بعض من كتبه وأبوابه وفصوله.

بدأ المؤلف كتابه بالحمد لله على نعمة الايجاد والخلق، وأنه تعالى خلق الداء والدواء، وجعل بيده الشفاء والاماتة والاحياء، خلق آدم وصوره وأبدع في خلقه، ثم ألزمه بحفظ بدنه وأنه أمانة عنده، وأوجب عليه التداوي من الأمراض والأدواء، وأنه سبحانه ما أنزل من داء إلا وأنزل معه الدواء، علمه من علمه وجهله من جهله، وسخر له ما السموات والأرض وحثه على الاعتدال فأكله ومشربه قال تعالى:{وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}[١٤] فكانت هذه الآية العظيمة من دلائل الإعجاز القرآني في حفظ البدن..... ثم ذكر مقدمة نافعة في معرفة مبدأ خلق الإنسان وعجائب تركيبه وتنقله في الأحوال حتى يصير بشراً سويا فقال: (ذكرتُ في أوله مقدّمة مختصرة في معرفة مبدأ خلق الإنسان، وتركيب خلقته من بدايته إلى نهايته، وأشرتُ فيها إلى ما يتعرف على أعضائه وعروقه ونحو ذلك، وما ركبت عليه أعضائه، وما يتعلق بالباطن والظاهر، وما يستدل به على مزاج كل عضو منها وأمور أخرى، وأحوال الإنسان من أن حملته أمه إلى أن وضعته، ثم أحواله في تربيته حتى يبلغ أشدّه وما يتعلق بذلك، ثم أردفتُ ذلك فقهاً وأصولاً جامعة نافعة كالقواعد فالصناعة يتبع بعضها بعضاً، ثم أبواباً في ذكر الأمراض وأسبابها، وعلاماتها ومداواتها وما يتعلق بذلك، ثم ذكرتُ الأدوية مرتبة على حروف المعجم، ليسهل استخراجها في المداواة بالأمراض المتعلقة بالرأس وأعالي البدن، ثم إلى أسافله، لئلا يصعب على الطالب تحصيل غرضه من هذا الكتاب، ثم ذكرتُ الطب الإلهي لسبب يُذكر هناك إن شاء الله تعالى، وسلكت في هذا التصنيف طريق الفقهاء في وضع المسألة والاستدلال عليها بالنص، فأذكر الدّواء وما قاله من قال فيه من الأطباء، واستدل بما وقع لي من الحديث النبوي..... وكذلك أذكر المرض وما قيل في معالجته، ثم ما جاء من الحديث في ذلك المعنى...)[١٥]. ثم قسم كتابه إلى؛ كتب، وأبواب، وفصول، وذكر نُكتا ولطائفَ تحت كل قسم، ومما ذكره من الكتب مثلا: كتاب الأدوية والأغذية والأشربة[١٦]، وكتاب المداواة[١٧]، وكتاب الأمراض العارضة للرأس وما يتصل به[١٨].

رابعاً: شروعه في تصنيف الكتاب.

قال المصنف جمال الدين السُّرَمَرِّي في مقدمته في معرض حديثه عن دوافعه في تأليف الكتاب، حيث بدأ تأليفه على صورة كراسة صغيرة أسماها: (شفاء من أصبح على شفى)، ثم تطور الأمر عنده بعد أن جمع مادة علمية ضخمة وكبيرة تستحق أن يكتب هذا الكتاب الذي لم يصنف مثله في وقته، فقد كان شاملا لجميع أبواب الطب وفصوله، فلا يستغني عنه طالب علم وطبيب قال في مقدمته: (فحينئذ جمعت أحاديث منقولة عن المصطفى صلى الله عليه وسلم متضمنة (شفاء من أصبح على شفى)، جعلتها كالأصول، وتكلمتُ عليها بما فتح الله من المأثور والمعقول، وشرحتُ مشكلها، وفتحتُ مقفلها، وذكرتُ خلال ذلك ما قاله جهابذة الأطباء، ووافق عليه نحارير الحكماء الألباء، لتسكن إليه النفسُ بالكلية، فلما طال اشتغالي بالحديث ومطالعتي ومراجعتي كتب الطب والأطباء، وذاكرتهم في قواعده، وأخذتُ من أفواههم نُكَتاً عديدة من فوائده، توفرت الهمة على جمع كتاب أجمع من ذلك، وبناء أرفع وأوسع من ذلك، فجمعتُ هذا الكتاب ضمنتهُ ما لم يتسع ذلك له، ووضعتهُ على منهاج آخر، وأسلوبٍ غيرَ أسلوب الأول)[١٩].

خامساً: منهجه في تقسيم الكتاب.بَيَّنَ المؤلف منهجه وطريقته في تقسيم الكتاب فقال: (ذكرتُ في أوله: مقدمة مختصرة في معرفة مبدأ خلق الإنسان، وتركيب خلقته من بدايته إلى نهايته؛ وأشرتُ فيها إلى ما يتعرف من أعضائه وعروقه ونحو ذلك، وما رُكبت عليه أعضائهُ، وما يتعلقُ بالباطن والظاهر من بدنه، وما يُستدلُ به على مزاج كل عضو منها وأمور أخرى، وأحوال الإنسان من حين حملته أمه إلى أن وضعته ثم أحواله في تربيته حتى يبلغ أشده وما يتعلق بذلك، ثم أردفتُ ذلك أقولاً وأصولاً جامعةً نافعة كالقواعد في الصناعة يتبع بعضها بعضاُ ثم أبواباً في ذكر الأمراض وأسبابها، وعلاماتها، ومداواتها، وما يتعلق بذلك. ثم ذكرتُ الأدويةَ مرتبةً على حروف المعجم، ليسهل استخراجها، وبدأتها في المداواة بالأمراض المتعلقة بالرأس وأعالي البدن، ثم إلى أسافله، لئلا يَصعُب على الطالب تحصيل غرضه من هذا الكتاب.ثم ذكرتُ الطب الإلهي لسبب يُذكر هناك إنْ شاء اللهُ تعالى)[٢٠].

سادساً: منهجه في ذكر الدليل على كل مسألة من مسائله وضح المؤلف طريقته ومنهجه في ذكر الدليل على كل مسألة من مسائله على طريقة الفقهاء وعلماء الشريعة فقال: (سلكتُ في هذا التصنيف طريق الفقهاء في وضع المسألة والاستدلال عليها بالنص، فأذكرُ الدواءَ وما قالهُ من قال فيه من الأطباء، واستدلُ بما وقعَ إليَّ من الحديث النبوي والآثار الإسلامية، وكذلك أذكرُ المرضَ وما قيل في معالجته، ثم ما جاء من الحديث في ذلك المعنى، وما شابهَ ذلك ويقويه، وربما عرضتُ نكتة أو حكايةً في بعض المواضع يحسنُ إيرادها فيه أذكرها)[٢١]ثم ذكر أن الطب الإلهي هو الطب الناجع والوحيد

والمفيد لكثير من الأمراض، وهو البلسم الشافي لمرضى الأبدان، وذلك لأن مصدره خالق الأبدان ومصورها ومبدعها، وهو العليم بها وبحالها وبما يصلحها من الأدواء إنْ صفت القلوب، وخلصت النوايا، ورسخ الاعتقاد واليقين بالله سبحانه وتعالى، ومال المؤلف إلى هذا الرأي بقوة ونصره فقال: (إنَّ الطب الإلهي هو الطب الحقيقي الذي أعرض الناس عنه إلا قليلا منهم وهو الذي كان ينبغي أن يستعمل لا غيره، فلما ضعفت قوى العقائد في الخلائق ومرضت القلوب بالشك واستهوتها الشياطين الإنسية والجنية احتاج أكثرهم إلى المعالجة بالطب الطبيعي ذكرنا ذلك ممزوجاً بالطب النبوي المستمد بأقلام الوحي من دوي النبوة، وذكرنا بعد ذلك من الطب الإلهي ما تيسر لأن في الناس بقية أمراضهم معتادة بهذه المداواة، وليرجع إليها من لم تنفعه الأدوية الطبيعية بقلب منشرح، فإنَّ كثيراً من ابتلي يطلب شفاء ذاته بالأدوية الطبيعية فإذا لم تنجح طلبته ألقى نفسه كإلقاء بين من يقول للشيء كن فيكون، والتجأ إليه واعتمد فيما قصد عليه ولسان حاله يقول _ فإذا رددتَ يدي فمن ذا يرحم _ فعند ذلك تنزل عليه الرحمة وتنكشف عنه الغمة قال تعالى:{أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ}[٢٢] فأما من إيمانه قوي واعتقاده صادق فأما أنْ يصبر ليحوز أجر الصابرين وأما أنْ يُعرض بلسان الذل والانكسار لمن يعلم السر وأخفى في كشف ضره)[٢٣]ثم ذكر أن هذا الدواء الإلهي مجرب وقد شفي بسببه كثير من الناس فقال: (وقد برأ بهذا الدواء الإلهي من المرضى ما لا يُحصى عددهم إلا الله، ولو اقتصر الناس عليه لكفاهم أجمعين من الطب الطبيعي ومن الطب النبوي لكن لما كان الناس أحوالهم مختلفة وأمراضهم في قلوبهم غير مؤتلفة احتاج كل واحد منهم إلى علاج يناسب حاله)[٢٤].

سابعاً: الجمع والتوفيق بين الطب الطبيعي والطب الإلهي والنبوي.

استطاع المؤلف ببراعة فائقة أن يجمع بين الطب الإلهي والنبوي وبين الطب الطبيعي، ويوظف الأخير لصالح الطب الإلهي والنبوي، وذلك لأن الطب الإلهي والنبوي أوثق وأسكن للنفس من الطب الطبيعي لأنه من عند الله الخالق العليم بخلقه وما يصلح له فقال: (وقد اعتمدتُ فيما ذكرته على ما يستند إلى الطب الإلهي والطب النبوي قولاً وفعلاً، وما قاله الأطباء جعلته موافقاً للمنقول النبوي وتبعاً له، وحذفتُ أسانيد الأحاديث إذ ليس موضعها، وقد أعزو الحديث إلى الأصل المخرج منه والكتاب المخرج منه، إذ الظن بنقلة الحديث أحسن منه بنقلة الطب عن جالينوس، ومهما كان في رجال رواة الحديث النبوي من وهن على طريق أهل الحديث فهو أحسن حالاً من رواة طب جالينوس وبقرط بكثير، والحديث النبوي مهما كان فللنفس إليه سكون وللقلب إليه ركون، وإذا كان الطب إما إلهام من الله تعالى وإما بالتجارب، فأهل الحديث إن لم يكونوا أولى بهذه الأمور من غيرهم مع تحريهم وتحرزهم ودينهم وتقواهم فليسوا بأدنى منهم)[٢٥].

ثامناً: أهم موارده ومصادره.أهم موارد المؤلف من كتب الطب هي: كتاب في الطب لمحمد بن زكريا الرازي المنصوري (ت٣١١هـ)، وكتاب المنهاج ليحيى بن عيسى بن جزلة البغدادي (ت٤٩٣هـ)، وكتاب المغني في الطب لسعيد بن هبة الله البغدادي (ت٤٩٥هـ) وغيرها قال المؤلف: (وغالب ما نقلته من كلام الأطباء من؛ كتاب المنصوري للرازي، ومن المنهاج لابن جزلة، ومن كتاب المغني وغيرها)[٢٦]، أما موارده من غير كتب الطب كثيرة جدا ومنها على سبيل الاختصارصحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن الترمذي وأبو داود السجستاني والنسائي وابن ماجة القزويني وموطأ مالك ومسند أحمد وفوائد تمام وتذكرة الصفدي وإحدى مصنفات الأصمعي وابن دريد وإحدى مصنفات أبو نعيم الأصبهاني وفقه اللغة للثعالبي وإحدى مصنفات الذهبي وجمهرة ابن دريد وغيرها.

تاسعاً: نسخ المخطوط في العالم.استطعنا بحمد الله من حصر ومعرفة عدد نسخ المخطوط في مكتبات العالم هي:

١/ مكتبة: جوتا/ المانيا/ رقم الحفظ: ٢٠٠٨.

٢/ مكتبة: شستربيتي/ ايرلندا/ دبلن/ رقم الحفظ: ٣١٥٠/١، ٤٥٨٦/٦.

٣/ مكتبه الأوقاف العامة/ السليمانية/ العراق/ رقم الحفظ: ت/٦١.

٤/ مكتبة: المجلس الوطني للثقافه والفنون والآداب/ الكويت/ رقم الحفظ: ١٢٩ عن مكتبه الاحقاف باليمن مج الكاف ٥ + ٦ طب (٧٣)، ١٣٠ عن شستربيتي٤٥٨٦.

٥/ مكتبة معهد المخطوطات العربيه/ القاهرة/ رقم الحفظ: ١٥٤ عن مكتبة فاتح بتركيا ٣٥٨٤ – ف ٦١٢.

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على نسخة مكتبة شستربتي/ بايرلندا/ برقم٣١٥٠.

خاتمة البحث

بعد أن أنهيت البحث ومطالعتي له ازددت يقينا أن المخطوط يحتاج أن تتبناه جهة علمية أو مؤسسة أكاديمية طبية للنظر فيه، ودراسته دراسة علمية، وذلك من أجل الاستفادة مما فيه من معلومات ثرية لا تجدها في كثير من المصادر الطبية الحديثة، فقد ذكر علاج لكثير من الأمراض والمشكلات الطبية خاصة إذا علمنا أن مؤلفه قد درس الطب ومارسه لأكثر من أربعين عاما، فهو يمتلك خبرة كبيرة في هذا المجال، وعلم الطب هو عبارة خبرة

وتجارب متراكمة لدى الطبيب، فكلما ملك الخبرة الواسعة والتجارب الكثيرة قوي عمله وجاءت علاجاته سليمة وصحيحة استطاع المؤلف ببراعة فائقة أن يجمع علم الطب الطبيعي وبين علم الطب الإلهي والنبوي، فأرجع علم الطب إلى مصدره الأصلي وهو الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة التي تحدث بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم الصادق المصدوق وهو المؤيد بالوحي والرسالة ازداد يقيني بأن الأمة الإسلامية تمتلك علماء افذاذ كان لهم بالغ الأثر في بناء الحضارة الإنسانية، قد تركوا للأجيال من بعدهم تراثا وإرثا حضاريا تفتخر به على مر العصور والدهور، وإننا نناشد الجهات الرسمية والمؤسسات العلمية والجامعات الاهتمام بهذا التراث والإرث الحضاري وذلك للاستفادة منه والنهوض بواقع المخطوطات التي تملأ مكتبات العالم.هذا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قائمة المراجع:

آداب الشافعي ومناقبه لعبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم الرازي الحنظلي(ت٣٢٧هـ)، تحقيق/ عبد الغني عبد الخالق، الناشر/ دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى عام ٢٠٠٣م.الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت١٣٩٦هـ)، الناشر/ دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر/٢٠٠٢م.إنباء الغمر بأبناء العمر لأحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق/ حسن حبشي/ الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، عام ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م.الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لأحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق/ محمد عبد المعيد ضان، الناشر/ مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد/ الهند/ الطبعة الثانية عام١٩٧٢م.الرد الوافر لمحمد بن عبد الله ابن أحمد القيسي الدمشقي الشافعي، شمس الدين، الشهير بابن ناصر الدين (ت٨٤٢هـ)، تحقيق/ زهير الشاويش، الناشر/ المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ.شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت١٠٨٩هـ)، تحقيق/ محمود الأرناؤوط، الناشر/ دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة الأولى عام١٩٨٦م. لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ لمحمد بن محمد بن محمد، أبو الفضل تقي الدين ابن فهد الهاشمي المكيّ الشافعي (ت٨٧١هـ)، الناشر/ دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٩٩٨م.معجم المؤلفين لعمر بن رضا بن محمد كحالة الدمشق (ت١٤٠٨هـ)، الناشر/ مكتبة المثنى/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت.

هوامش البحث

(١) أنظر: آداب الشافعي ومناقبه ص٢٤٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) أنظر: شفاء الآلام في طب أهل الإسلام ص٤أ.

(٤) أنظر: شفاء الآلام في طب أهل الإسلام ص٧ب.

(٥) مصادر ترجمة المؤلف: أنظر: إنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر ١٠٢/١، لحظ الألحاظ لابن فهد ص١٠٧، شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ٤٣٠/٨، الأعلام للزركلي ٢٥٠/٨، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٣٣٢/١٣،

(٦) أنظر: إنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر ١٠٢/١.

(٧) أنظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ٤٣٠/٨.

(٨) أنظر: الرد الوافر لابن ناصر الدين ص١٣٠.

(٩) أنظر: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ٢٤٧/٦.

(١٠) أنظر: لحظ الألحاظ ص١٠٧.

(١١) أنظر: شفاء الآلام في طب أهل الإسلام ص٧أ.

(١٢) أنظر: شفاء الآلام في طب أهل الإسلام ص ٣أ _ ٣ب.

(١٣) أنظر: شفاء الآلام في طب أهل الإسلام ص٧أ.

(١٤) سورة الأعرف (آية٣١).

(١٥) أنظر: شفاء الآلام في طب أهل الإسلام ص٧أ _ ٧ب.

(١٦) أنظر: شفاء الآلام في طب أهل الإسلام ص٧٣أ.

(١٧) أنظر: شفاء الآلام في طب أهل الإسلام ص١٤١أ.

(١٨) أنظر: شفاء الآلام في طب أهل الإسلام ص١٤٦أ.

(١٩) أنظر: شفاء الآلام في طب أهل الإسلام ص٧أ.

(٢٠) أنظر: شفاء الآلام في طب أهل الإسلام ص٧أ.

(٢١) أنظر: شفاء الآلام في طب أهل الإسلام ص٧أ _ ٧ب.

(٢٢) سورة النمل (آية٦٢).

(٢٣) أنظر: شفاء الآلام في طب أهل الإسلام ص٧ب.

(٢٤) أنظر: شفاء الآلام في طب أهل الإسلام ص٧ب.

(٢٥) أنظر: شفاء الآلام في طب أهل الإسلام ص٧ب _ ٨أ.

(٢٦) أنظر: شفاء الآلام في طب أهل الإسلام ص٨أ.